إنسانية الطب تبدأ من تأهيل الطبيب

د. حسان شمسي باشا

استشاري أمراض القلب في المركز الأوربي الطبي بجدة

تعد مهنة الطب من المهن الانسانية البحتة لاتصالها المباشر بحياة وصحة الانسان وسلامته فكيف نغرس مفهوم ذلك في عقول الاطباء والطبيبات حديثي التخرج ليعملوا بذلك فور ممارستهم هذه المهنة في حسن تعاملهم مع مرضاهم وتعزيز سلامتهم والحرص على الاخلاص والتفاني في العمل وتجنب اي خطا طبي بغير قصد طبعا ولكن قد يكون تهاوننا وتقصيرا فهل تقترحون عقد دورات تدريبيه تثقيفيه مكثفه لهم في هذا المجال يحاضر فيها كبار الاستشاريين واميزهم من اصحاب الخبرة الطويلة في ممارسة مهنة الطب لتثقيف وتوعية هذا الجيل الجديد الداخل حديثا لهذه المهنة.

والجواب نعم، أقترح ذلك بقوة، وأرى أن إعداد الطبيب والطبيبة للممارسة ينبغي أن يشمل، إلى جانب المعرفة الطبية، تدريبًا عمليًّا على الرحمة والتواصل والمسؤولية. فالطب علمٌ نُحسن به التشخيص والعلاج، وأمانةٌ نُحسن بها رعاية الإنسان في لحظة ضعفه وخوفه. وأول ما ينبغي أن نغرسه في الطبيب حديث التخرج أنَّ المريض الذي أمامه ليس "حالةً" ولا رقمًا في ملف؛ إنه إنسانٌ له أسرةٌ تنتظر عودته، وآمالٌ يخشى فقدها، وكرامةٌ يجب أن نصونها. وقد ينسى المريض كثيرًا من تفاصيل علاجه، لكنه يتذكّر كيف استمع إليه طبيبه، وكيف شرح له، وهل شعر معه بالأمان والاحترام.

وأرى أن تتحوّل هذه الفكرة إلى برنامج تأهيلي منظّم يسبق ممارسة الطبيب حديث التخرج، ويستمر معه خلال عامه الأول .ويكون هدفه أن يترجم إنسانية الطب إلى سلوكٍ يراه المريض: إصغاءٍ جيد، وشرحٍ واضح، واحترامٍ لكرامته، ودقةٍ في رعايته. ويمكن تنفيذ ذلك بالتعاون بين المستشفيات وكليات الطب والجهات المهنية، بتنظيم دورة تأسيسية مكثّفة عند بدء العمل، وأقترح برنامجًا يمتد خمسة أيام، تُخصّص له ساعاتٌ محمية من مهام العمل؛ حتى يحضره الطبيب بذهنٍ حاضر، لا بعد مناوبةٍ مرهقة. ويكون لكل يوم موضوعٌ محدّد وتطبيقٌ عملي.

ولا ينبغي أن تقتصر هذه الدورات على المحاضرات؛ بل تتضمن محاكاة مواقف واقعية ومناقشة حالات مهنية، يتدرّب فيها الطبيب على التعامل مع مريض خائف، أو مراجعة معلومة غير مؤكدة، أو الإبلاغ عن خطأ والتعلّم منه.

نريد تدريبًا عمليًّا: كيف يتعامل الطبيب مع أبٍ قلق على طفله؟ وكيف يشرح لمسنٍّ ضعيف السمع؟ وماذا يفعل حين يجد جرعة دواء تثير شكّه؟ وكيف يطلب المساعدة حين تتجاوز الحالة خبرته؟ إن قول الطبيب: «سأراجع الأمر مع زميلي الأكثر خبرة» موقفٌ مسؤول يستحق التشجيع.

ولا تنتهي المهمة بشهادة حضور؛ بل تستمر بإشرافٍ مباشر ولقاءات دورية خلال السنة الأولى في بيئة تشجّع السؤال، وتتعلّم من الأخطاء.

إن إعداد الطبيب لهذه المسؤولية استثمار في سلامة المجتمع؛ فالمريض يحتاج إلى علمٍ يعالجه، وضميرٍ يصون أمانته، ورحمةٍ تخفّف عنه.